مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 449 - 467

تاريخ الإرسال: 2022/09/25 تاريخ القبول: 2023/03/17
تاريخ النشر: 2023/06/03

ملامح المنهج التاريخي في النقد العربي القديم ـ قراءة تحليلية لكتاب (طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي)

Features of the historical approach in ancient Arab criticism. Analytical reading of the book The Classes of the Stallions of Poets by Muhammad bin Salam al-Jumahi.

[1] د. أسامة لنصاري.
جامعة تامنغست (الجزائر). [1] o.LENSARI@cu-tamanrasset.dz [1]

الملخص:

تحاول الدراسة بالاعتماد على المنهج التاريخي بإجراءات الوصف والتحليل والمقارنة والاستنتاج تسليط الضوء على ملامح المنهج التاريخي في النقد العربي القديم، وتحديدا عند الناقد «محمد بن سلام الجمحي» من خلال كتابه (طبقات فحول الشعراء) مرورا بالتطرق لمفهوم هذا المنهج التاريخي ورواده في النقدين الغربي والعربي الحديث والمعاصر ومبادئه وصولا إلى دراسة تحليلية لكتاب طبقات فحول الشعراء للناقد محمد بن سلام الجمحي.

الكلمات المفتاحية: المنهج التاريخي، النقد العربي القديم، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء.

Abstract:

The study attempts by relying on the historical method with the procedures of description, analysis, comparison and conclusion, to shed light on the features of the historical method in ancient Arab criticism, specifically according to the critic "Muhammad bin Sallam al-Jumahi" through his book (Tabaqat

Fuhul al-Shu'ara), passing through the concept of this historical method and its pioneers in Western and Arab criticism, Modern and Contemporary and Its Principles, leading to an analytical study of the book The Classes of The Stallions of Poets (Tabaqat Fuhul al-Shu`ara) by the critic Muhammad bin Sallam al-Jumahi.

Keywords: the historical method, the ancient Arab criticism, Muhammad bin Sallam al-Jumahi, the classes of the stallions of poets**.**

المؤلف المرسل: أسامة لنصاري. OUSSAMALANSARY@GMAIL.COM

1. مقدمة:

تميز النقاد العرب القدامى ببراعة منهجية نقدية في مقاربتهم للنصوص الأدبية وفي دراستهم لتاريخ الأمم والشعوب وأخبارها؛ وكذا في أبحاثهم العلمية في شتى علوم اللغة العربية وغيرها؛ وهذه البراعة لا يمكن نكرانها؛ بل نجد العديد من الدارسين المعاصرين يعترف بها، حيث يرى معظمهم أن دراساتهم تعتمد على رؤية منهجية نقدية تاريخية واجتماعية ونفسية؛ ومن هنا بمقدور الباحث أن يلمس لهم بعض الملامح المنهجية التي يمكن أن يثبتها بتفحصه للإجراء التطبيقي الواضح في كتبهم ويعمل على إسقاطها على الإجراءات المعروفة في مناهج النقد العربي الحديث.

فإذا نحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على المنهج التاريخي في النقد العربي واكتشاف ملامحه عند النقاد العرب القدامى، ثم نذكر أبرز أعلامه في النقدين الغربي والعربي الحديث والمعاصر، ونركز بعد ذلك على ملامح هذا المنهج عند الناقد العربي القديم «محمد ابن سلام الجمحي» صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء الذي عبر عنه «طه أحمد إبراهيم» بأنه أول من نظَّم بحثه من بين

معاصريه من النقاد العرب القدامى فنحاول إبراز ملامح تطبيقه للمنهج التاريخي النقدي في دراسته طبقات فحول الشعراء.

محاولين الإجابة على الإشكالية التالية: ما هو المفهوم الاصطلاحي للمنهج التاريخي؟ ومن هم أشهر أعلامه في النقدين الغربي والعربي؟ وما هي مبادئه الأساسية؟ وإلى أي مدى تتجلى ملامحه عند «محمد بن سلام الجمحي» في كتابه (طبقات فحول الشعراء)؟

2. مفهوم المنهج التاريخي:

تعمدنا تجنب الخوض في المفهوم اللغوي للمنهج التاريخي ذلك لأنه تشبَّعَ دراسة في مختلف المعاجم اللغوية والمراجع النقدية الحديثة؛ واكتفينا بالتطرق إلى مفهومه الاصطلاحي –نظرا لطبيعة الدراسة وقِصَرِها– فجمعنا عنه بعض التعريفات المُرَكَّزَةِ التي وقعت بين أعيننا أثناء البحث؛ والتي جاء بها أشهر الباحثين المعاصرين ومن بين هذه التعريفات حديث الباحث «بسام قطوس» الذي يقول في هذا المنهج صراحة أنه "أول المناهج النقدية ظهورا في العصر الحديث، فقد ارتبط بالفكر الإنساني وبالتطور الأساسي له، وانتقاله من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. ولقد تبلور المنهج التاريخي داخل المدرسة الرومانسية وانبثق عنها، فالرومانسية هي التي بلورت وعي الإنسان بالزمن، وتصوره للتاريخ"[1]، ويمنحه بهذا المفهوم الأولوية والأسبقية بين كل مناهج النقد الحديث لأنه يأتي في مقدمتها.

كما نجد من جهة أخرى الباحث «يوسف وغليسي» يعرفه بأنه: "منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون"[2]، فيصور من خلال تعريفه أن النقد التاريخي يستند إلى السياق التاريخي في مقاربة النصوص الأدبية وتفسيرها مع الاعتناء بالآراء السابقة التي قيلت في السياق

الفني المدروس سواءً كانت هذه الدراسة تجري حول نص أدبي ما أو فن من الفنون أو أديب أو كاتب أو مجتمع أو أُمَّة معينة.

في نفس هذا السياق نجد «عبد السلام المسدي» في كتابه (في آليات النقد الأدبي) يذهب إلى ما يشبه التعريف السابق غير أنه عبر عنه بأسلوب آخر فيقول: بأن النقد التاريخي يعتمد "على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية: فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"[3]، ما نفهمه من حديثه هو أن النقد التاريخي يدرس تطور الأدب في سلسلة مشكلة من النص الأدبي ثم البحث في معرفة صاحب النص والتطرق لثقافته وبيئته وكل هذه العناصر يراها جزءًا من التاريخ؛ وبالتالي فإن النقد في المنهج التاريخي هو تأريخ للأديب من خلال بيئته؛ وبهذا يتم اعتماده في دراسة التطور الأدبي.

وقد فصل الباحث «يوسف وغليسي» في تعريفه السابق الذي ذكرناه حيث يظل هذا المنهج التاريخي حسب رأيه أحد أكثر المناهج اعتمادا في ميدان البحث الأدبي منذ القديم إلى يومنا هذا، ذلك لأنه الأكثر صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطوراتها عبر مختلف العصور، وهذا ما يؤكد أهميته في الأبحاث الأدبية، لأنه هو المنهج الوحيد الذي يمكِّننا من دراسة المسار الأدبي لأي أمة من الأمم، ويمكِّننا أيضا من التعرف على ما يتميز به أدبها من خصائص.[4]

من ضوء هذه الاقتباسات المقتضبة نفهم أن المنهج التاريخي يساعدنا في دراسة النص الأدبي من خلال ربطه بالسياق التاريخي ويساعدنا أيضا على اكتشاف التطور الحاصل في الأدب عبر العصور، ويستند إليه الباحث في دراسة تأريخ أمة ما أو تطور فن من الفنون وما إلى ذلك، فهو يعتمد على تقصي الحقائق التاريخية في الموضوع المدروس.

3. أعلام المنهج التاريخي في النقد الغربي:

من أبرز أعلام المنهج التاريخي عند الغرب الذين تبنوه، وأصَّلوا له نذكر: "فيرديناند برونتيير / f.brunetière، وسانت بيف / sainte-beuve، وهيبوليت تين/ h.taine"[5].

وهناك ناقدان إنجليزيان مهمان في هذا السياق التاريخي، وهما (بن جونسون/ johnson ben،ودريدن/ Dryden)، لتقييدهما بمجموعة من الملحوظات النقدية التي تدرس التغيرات والتباينات في التقاليد الفنية من عصر إلى آخر، فوُصفوا بذلك بأنهم الأوائل الذين استمدوا من التاريخ في تفسيرهم للأدب، إلا أن «بسام قطوس» يؤكد أن الدفعة القوية التي تلقاها المنهج التاريخي كانت على يد هؤلاء النقاد الذين استفادوا من تطور العلوم التجريبية في نظرياتهم مثل نظرية تشارلز داروين في النشوء والارتقاء عند برونتيير ونظريات علم الأحياء عند سانت بيف وهيبوليت تين[6].

وقد أنفق -(فيرديناند برونتيير / f.brunetière (1849م-1906م) الناقد الفرنسي الذي آمن بنظرية التطور لدى داروين (1809م-1906م)- جهودا معتبرة في تطبيق هذه النظرية على الأدب، ويشبِّه الأنواع الأدبية بالكائنات العضوية المتطورة، فكما تطور القرد إلى إنسان، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر، وهذا ما تناوله في كتابه (تطور الأنواع الأدبية) الذي ألفه سنة 1890م، وقد تبنى فلسفة داروين حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية، وأنها تنمو وتتكاثر حتى تبلغ مرتبة النضج وقد تنتهي عندها وتتلاشى كما تنقرض بعض الفصائل الحيوانية[7].

أما الناقد الفرنسي (ش.أ.سانت بيف / Charle augustin sainte-beuve) (1804م-1869م)، فقد ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا، وتتبع

نظام (كما تكون الشجرة يكون ثمرها)، وأن النص (تعبير عن مزاج فردي)، ومن هذا المنطلق كان ولوعا بتقصي حياة الكاتب الشخصية والعائلية ومعرفة أصدقائه وأعدائه وكل ما يصب في ما يسميه (وعاء الكاتب)[8].

ولقد درس الناقد الفرنسي (هيبوليت تين / H.taine)(1828م-1893م) النصوص الأدبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة[9]:

1-العرق أو الجنس (Race)؛ بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

2-البيئة أو المكان أو الوسط، (Milieu)؛ بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

3-الزمان أو العصر (Temps)؛ أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.

ويتبين أن الناقد الفرنسي (سانت بيف) كان أستاذا للناقد (هيبوليت تين)، وهذا ما يؤكده «بسام قطوس» في قوله: "أما زميله الثاني هيبوليت تين، فقد كان تلميذ بيف وخليفته"[10]، وأكد أيضا أنهما قد اتخذا نهجا نقديا واحدا مستفيدين من نظريات علم الأحياء، وهما من أعطيا للمنهج التاريخي اسمه من بين مناهج النقد الأدبي[11].

4. المنهج التاريخي عند العرب:

أما عن تجليات هذا المنهج في النقد العربي، فهناك بدايات وإرهاصات أولى اهتم فيها النقاد القدامى بالتصور التاريخي وفيها يتضح تناولهم للنقد التاريخي دون التأصيل له في النقد العربي القديم أو التصريح بتطبيقه في ممارساتهم النقدية على النصوص الأدبية، كما أن هناك ممارسات فعلية لهذا المنهج في النقد العربي الحديث فيمكن أن نقف عندها، وكانت على يد مجموعة من النقاد العرب الذين

تتلمذوا عن رموز المدارس الغربية، وفي هذه العناصر الموالية سنحاول التلميح لبعض هذه الإرهاصات القديمة من خلال ذكر أقوال بعض الباحثين المعاصرين، ونترك النموذج الذي اخترناه من بينها –ألا وهو (كتاب طبقات فحول الشعراء) «لابن سلام الجمحي»– لنفصل الحديث حوله في الجانب التطبيقي في نهاية هذه الدراسة، كما سنعرج أيضا قبل الخوض في الجانب التطبيقي على الإشارة لبعض الممارسات النقدية للمنهج التاريخي في النقد العربي الحديث:

أ) ملامح المنهج التاريخي عند النقاد العرب القدامى:

إن الدارس لتاريخ النقد العربي القديم لا يستطيع أن ينكر حضور نماذج ودراسات كثيرة ومقاربات نقدية تمتاز برؤية تاريخية يقاس الأدب وفقها، وهذا ما أكده «بسام قطوس» في حديثه عن المنهج التاريخي حين قال: "لا نستطيع أن ننكر أن في النقد العربي ملامح كثيرة لمقاربات نقدية تملك رؤية تاريخية نقيس الأدب على وفقها"[12].

وفي سياق دراسته نفسها قد تحدث هذا الأخير أيضا عن أبرز النقاد القدامى الذين مارسوا الرؤية التاريخية دون التأصيل لها في أعمالهم الأدبية كـ«**ابن سلام الجمحي**» و«**الأصمعي**» في قوله: "من ذلك ما فعله ابن سلام في طبقاته حين أفرد مباحث لشعراء القرى، ولشعراء المدينة، ولشعراء مكة، ولشعراء اليهود، مما يمكن أن يعدَّ إرهاصا مبكرا للرؤية التاريخية. كما لا نستطيع أن نتجاهل ما أدركه ناقد كالأصمعي من أثر المتغيرات الاجتماعية والعقدية والقيمية في شعر الشاعر المخضرم حسان ابن ثابت، وانتهائه إلى مقولته الشهيرة عن – لين شعر حسان في الإسلام بعد أن كان فحلا في الجاهلية"[13].

ومن الذين أكد «بسام قطوس» على اهتمامهم بالرؤية التاريخية في دراسة الأدب الناقد العربي القديم «**القاضي الجرجاني**» (395هـ)، "الذي ربط في نقده بين

أحوال البداوة والتمدن الاجتماعي والصياغة الأدبية من خلال عادات الناس وألسنتهم وأخلاقهم"[14].

عند متابعة الأبحاث الأدبية والنقدية القديمة لا يختلف اثنان بعد الاطلاع عليها على مسألة أن للنقد التاريخي إرهاصات قديمة في تاريخ النقد العربي حتى وإن لم تكن تأصيلية، فقد كانت عبارة عن تصورات واهتمامات واضحة في ممارسة النقاد الذين يدرسون الأدب من جانبه التاريخي، ويهتمون بتغيرات حالة الأدب التي تحدث من زمن لآخر.

وإن المطلع على النقد العربي القديم يجد بأن هؤلاء النقاد كثر جدا، وتعمدنا الاكتفاء بذكر بعض الأقوال التي أوردها «بسام قطوس» في دراسته (المدخل إلى مناهج النقد المعاصر)، لأن صفحات هذه الدراسة الخاصة بنا لا يسعها الإلمام بكل ما ورد عن هؤلاء النقاد القدامى الذين نلمس لهم ملامح ممارسة المنهج التاريخي النقدي في أعمالهم النقدية؛ ويكفي كما قلنا سابقا أننا خصصنا أنموذجا من هذا النقد القديم ألا وهو كتاب (طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي) والذي سنتطرق له لاحقا في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

ب) تجليات المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث:

لقد اشتهرت ممارسة المنهج التاريخي وتناوله في النقد العربي الحديث في مؤلفات مجموعة من النقاد أمثال «عباس محمود العقاد، وطه حسين» وهذا ما يوضحه «بسام قطوس» في قوله: " تجلى الاتجاه التاريخي في النقد العربي الحديث لدى عدد من النقاد مثل عباس محمود العقاد في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي)، وطه حسين في كتابيه (حديث الأربعاء) و(مع المتنبي)"[15].

وعلى غرار هذا فقد كان حضور ممارسة المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث في نهايات الربع الأول من القرن العشرين واضحا بشكل وفير على يد

مجموعة من النقاد العرب الذين تتلمذوا على رموز المدرسة الفرنسية، ومن أهم هؤلاء النقاد:**أحمد ضيف (1880م-1945م)** الذي يعد أول متخرج عربي في مدرسة لانسون الفرنسية، بالإضافة إلى **طه حسين (1890م-1965م)**، و**زكي مبارك (1893م-1952م)**، و**أحمد أمين (1886م-1954م)**[16].

ويذهب «يوسف وغليسي» في حديثه عن المنهج التاريخي إلى أن "**محمد مندور (1907م-1965م)** يمكن عده الجسر التاريخي المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي؛ فهو أول من أرسى معالم اللانسونية في نقدنا العربي، حين أصدر كتابه (النقد المنهجي عند العرب) مذيلا بترجمته لمقالة **لانسون** الشهيرة (منهج البحث في الأدب)، وكان ذلك في حدود سنة 1946م، ثم أعاد طبع هذه الترجمة مرفقة بترجمته لمقالة **مايه** (منهج البحث في اللغة) سنة 1964م"[17].

وقد ازدهر النقد التاريخي في كثير من الجامعات العربية أيام الستينيات على أيدي أشهر الأكاديميين العرب الذين أصبحت أطروحاتهم الجامعية معالم نقدية اعتنى بآثارها النقدية التاريخية طلبتهم من بعدهم، ويتوارثونها طالبا عن أستاذ، حتى أصبح المنهج التاريخي مرسخاً مرسماً ترسيماً أكاديميا، يوشك أن يبدو مطلقا، ومن رموز هذا المنهج التاريخي: **شوقي ضيف** و**سهير القلماوي** و**عمر الدسوقي** في مصر، و**شكري فيصل** في سوريا، و**محمد الصالح الجابري** في تونس، و**عباس الجراري** في المغرب،أما في النقد الجزائري فيمكن أن نذكر : **بلقاسم سعد الله** و**صالح خرفي** و**عبد الله ركيبي** و**محمد ناصر** و**عبد الملك مرتاض** (في مرحلة أولى من تجربته النقدية)[18].

5. مبادئ المنهج التاريخي:

ومن مبادئ المنهج التاريخي نذكر ما يلي[19]:

1- الربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي، واعتبار الأول وثيقة للثاني.

2-الاهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة الممتدة تاريخيا، مع التركيز على أكثر النصوص تمثيلا للمرحلة التاريخية المدروسة.

3-المبالغة في التعميم والاستقراء الناقص.

4-الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي، وتحويل كثير من النصوص إلى وثائق يستعان بها عند الحاجة إلى تأكيد بعض الأفكار والحقائق التاريخية.

5-التركيز على المضمون وسياقاته الخارجية، مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنص.

6-التعامل مع النصوص المدروسة على أنها مخطوطات بحاجة إلى توثيق، أو تحف مجهولة في متحف أثري، مع محاولة لم شتاتها وتأكيدها بالوثائق والصور والفهارس والملاحق.

ومما سبق ذكره حول المنهج التاريخي نخلص إلى كونه عملية استرداد واسترجاع للماضي، وهو منهج علمي مرتبط بمختلف العلوم الأخرى، حيث يساعد الباحث والأديب عند دراسته للتغيرات التي تطرأ على البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها، ويساعد الدارس أيضا في التعرف على ماضي الظاهرة وتحليلها وتفسيرها علميا، في ضوء الزمان والمكان الذي حدثت فيه، ومدى ارتباطها بظواهر أخرى ومدى تأثيرها في الظاهرة الحالية في محل الدراسة ومن ثم الوصول إلى تعميمات أخرى وأبعد نحو التنبؤ بالمستقبل، ونلمس له ملامح في النقد العربي القديم وكذا ممارسات فعلية تأسيسية في النقدين الغربي والعربي الحديثين.

6. ملامح المنهج التاريخي عند «محمد ابن سلام الجمحي من خلال كتابه: طبقات فحول الشعراء»:

قسم «محمد بن سلام الجمحي» كتابه (طبقات فحول الشعراء) إلى ثلاثة أقسام بدأها بالشعراء الجاهليين قبل الإسلاميين، فالقسم الأول كان عن فحول شعراء الجاهلية: وقَسَّمه بدوره إلى عشرة طبقات، والقسم الثاني كان عن طبقات شعراء المراثي والقرى العربية واليهود وقسمه إلى ثلاثة طبقات، والقسم الثالث كان عن شعراء فحول الإسلام وقسمه لعشرة طبقات؛ نوضحها في الجدول التالي[20]:

القسم الأول من الكتاب: طبقات فحول الجاهلية	
الطبقة	**شعراء الطبقة بالترتيب**
الأولى	إمرأ القيس – النابغة الذبياني – زهير بن أبي سلمى – الأعشى
الثانية	أوس بن حجر– بشر بن حازم الأسدي– كعب بن زهير– الحطيئة
الثالثة	قيس نابغة بني جعدة – أبو ذؤيب الهذلي – الشماخ بن ضرار – لبيد بن ربيعة
الرابعة	طرفة بن العبد – عبيد بن الأبرص – علقمة بن عبدة – عدي بن زيد
الخامسة	خداش بن زهير– الأسود بن يعفر– أبو يزيد – المخبل بن ربيعة – تميم بن أبي
السادسة	عمرو بن كلثوم – الحارث بن حلزة – عنترة بن شداد – سويد بن أبي كاهل
السابعة	سلامة بن جندل الطائي– حصين بن الحمام المري– المتلمس–: المسيب بن علس
الثامنة	عمرو بن قميئة – النمر بن تولب – أوس بن غلفاء التميمي – عوف بن عطية
التاسعة	صابئ بن الحارث – سويد بن كراع العكلي – الحويدرة واسمه قطبة بن محصن – سحيم عبد بني الحسحاس

العاشرة	أمية بن حرثان – حريث بن محفظ – الكميت بن معروف – عمرو بن شأس
القسم الثاني من الكتاب: طبقات شعراء المراثي والقرى العربية واليهود	
الطبقة	**شعراء الطبقة بالترتيب**
طبقة شعراء المراثي	متمم بن نويرة – الخنساء تماضر بنت عمرو – أعشى باهلة عامر بن الحارث – كعب بن سعد بن عمرو
طبقة شعراء القرى العربية	**من المدينة المنورة** (حسان بن ثابت – كعب بن مالك –عبد الله بن رواحة – قيس بن الخطيم – أبو قيس بن الأسلت) **من مكة** (عبد الله بن الزبعري – أبو طالب بن عبد المطلب – الزبير بن عبد المطلب – أبو سفيان بن الحارث – مسافر بن أبي عمرو – ضرار بن الخطاب الفهري – أبو عزة الجمحي – عبد الله بن حذافة –هبيرة بن أبي وهب). **من الطائف** (أبو الصلت بن أبي ربيعة – أمية بن أبي الصلت – أبو محجن عمرو بن حبيب – غيلان بن سلمة – كنانة بن عبد ياليل) **من البحرين** (المثقب عائذ بن محصن– الممزق العبدي – المفضل بن معشر)
طبقة شعراء اليهود	السموأل بن عادياء– الربيع بن أبي الحقيق– كعب بن الأشرف– شريح بن عمران– سعية بن العريض– أبو قيس بن رفاعة– أبو الذيال– درهم بن زيد
القسم الثالث من الكتاب: طبقات فحول الإسلام	
الطبقة	**شعراء الطبقة بالترتيب**

الطبقة الأولى	جرير – الفرزدق – الأخطل – راعي الإبل عبيد بن حصين
الطبقة الثانية	البعيث خداش بن بشر – القطامي عمرو بن شييم – كثير بن عبد الرحمن الخزاعي– ذو الرمة غيلان بن عقبة
الثالثة	كعب بن جعيل – عمرو بن أحمر – سحيم بن وثيل – أوس بن مغراء
الرابعة	نهشل بن حري – حميد بن ثور الهلالي – الأشهب بن رميلة – عمر بن لجإ التيمي.
الخامسة	أبو زبيد الطائي – العجير بن عبد الله بن عبيدة – عبد الله بن همام السلولي– نفيع بن لقيط الأسدي).
السادسة	عبد الله بن قيس بن شريح – الأحوص عبد الله بن محمد بن – جميل بن معمر – نصيب مولى عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.
السابعة	المتوكل الليثي ويكنى أبا جهمة – يزيد بن ربيعة بن مفرع بن مصعب الحميري– زياد الأعجم، وهو زياد بن سليم العبدي–عدي بن الرقاع
الثامنة	عقيل بن علفة المري–بشامة بن الغدير المري–شبيب بن البرصاء–قراد بن حنش بن عمرو
التاسعة	الأغلب بن جعشم بن عمرو – أبو النجم الفضل بن قدامة – العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد – رؤبة بن العجاج ويكنى أبا الجحاف
العاشرة	مزاحم بن الحارث بن مصرف– يزيد بن الطثرية والطثرية أمه: وهو يزيد بن المنتشر– أبو دؤاد الرؤاسي– القحيف بن سليم العقيلي

التحليل:

ذكر «طه أحمد إبراهيم» في تقديمه لكتاب طبقات فحول الشعراء أن «محمد بن سلام الجمحي» يعد أول من نَظَّم البحث وعرف كيف يعرض أفكاره مقارنة بينه وبين معاصريه النقاد، وتميز عنهم ببراعته في كيفية البرهان على هذه الأفكار والتعليق عليها وكيف استنبط منها حقائق أدبية متعددة في كتابه طبقات الشعراء.[21]

بناءً على هذا الاعتراف شرعنا في تحليل هذا الكتاب فأوجدنا تقسيما افتراضيا له حسب ما هو موضح في الجدول أعلاه ففي القسم الأول من كتابه الذي خصصه **(لطبقات فحول الجاهلية)** تفحص «محمد بن سلام الجمحي» الحقب الزمنية المتتابعة قبل الإسلام حتى يفصل بين الحقيقي من الشعر والذي يصح أن ينسب لصاحبه وما لا يمكن نسبته وهذا المبدأ معروف في إجراءات النقد التاريخي في العصر الحديث إذ: "يستخدم الناقد التاريخي المنهج لتفسير ووصف ماضي الظواهر الأدبية ويوضح لنا: كيف جاءت؟ وأين؟ ومتى ظهرت؟ فإذا طبق المنهج التاريخي للأدب دون الاستناد إلى وثائق يقينية مؤكدة، يكون الناتج حتما بعض الافتراضات الظنية غير القابلة للتحقيق، ولكن منهج تاريخ الأدب الحق هو الذي يعتمد أصلا الحقائق المؤكدة والثابتة"[22].

وشرع بعد ذلك في تصنيف وتقسيم الشعر الجاهلي بترتيب الشعراء الذين عاشوا في الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بالعصر الجاهلي بداية بالطبقة الأولى إلى العاشرة، حيث ذكر فيها كل شاعر بداية باسمه ثم نسبه إلى قبيلته العدنانية أو القحطانية، وعمل على استخدام الثقافة التاريخية بتقسيم الشعر على فترات زمنية بالرجوع إلى العصر وتسمية الشاعر وذكر نسبه وحياته، وكل ذلك نجده عند أعلام النقد التاريخي الحديث، وفيه يقول «محمد زكي العشماوي»: "كما أن أصحاب النقد التاريخي كثيرا ما يتجهون بنا نحو البيئة والعصر"[23]، وهذا ما تقوله

«يمينة بن سويكي»: "وقد ظل المنهج التاريخي مرتبطا في تحليل النص على إسقاط حياة الشاعر وظروف ملابسة البيئة على نصه"[24].

والمتتبع لإجراءات «محمد بن سلام الجمحي» في كتابه هذا يجد أنه يسير على نفس خطوات الناقد التاريخي الحديث «هيبوليت تين» في توظيفه للعرق والجنس والبيئة أو المكان أو الوسط والزمان أو العصر في قراءته للنص الشعري، وكأَنَّ هذا الأخير اطَّلع على أبحاث الجمحي فحذا حذوه الواضح في طبقات فحول الشعراء؛ وهذا اعتراف كبير يحتاج إلى أدلة تثبته ومن أبرزها كتاب الجمحي نفسه وكتب النقاد العرب القدامى الذين عاصروه، أو ربما هو تنبؤ من هؤلاء النقاد القدامى نفسهم بإجراءات هيبوليت تين.

وإن بعض ما يثبت هذا التشابه حديث «محمد بن سلام الجمحي» عن العرق الذي يتمثل في التطرق لنسب الشاعر وذكر أجداده ثم نسبته إلى قبيلته الأولى القحطانية أو العدنانية، أما حديثه عن بيئة الشاعر فتتمثل في الإشارة إلى بادية بني أسد وذبيان وغطفان وشيبان.. وغيرها في جميع الطبقات، وإشارته كذلك إلى البصرة وأهلها عندما ذكر الذين يقدمون امرأ القيس عن نظرائه وإلى الكوفة وأهلها عندما ذكر الذين يقدمون الأعشى عن نظرائه، وإلى أهل الحجاز والبادية عندما ذكر الذين يقدمون زهير والنابغة، أما حديثه عن الزمان فيتمثل في تحديده للحقبة التي عاش فيها كل شاعر سواء قبل الإسلام أو بعد الإسلام.

إضافة إلى تطرقه في دراسته لمجموعة من المناسبات الاجتماعية التي قال فيها الشعراء أشعارهم حتى تساعد القارئ على فهم موضوع القصيدة، والقيام بهذا الأمر معروف ضمن آليات النقد التاريخي لأن منهجه هو "منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب"[25].

واهتمامه بشخصيات الشعراء في كل أقسام الكتاب يعد من الآليات التي اعتمد عليها أصحاب المنهج التاريخي حديثا، وهذا ما أثبته قول «إليزابيت غافوا غالو»: "والتاريخ الأدبي نوع من النقد الخارجي، لأنه يشرح العمل الأدبي بواسطة وثائق خارجية، ويسجل المؤلفون على سبيل المثال العودة القوية إلى الاهتمام بالسير، وإلى "شخص المؤلف" بمقدار الاهتمام بـ: العمل الأدبي"[26].

ودائما ما يقرن نقده للنص بحياة الشاعر وبيئته وزمانه فهذا هو منظور النقد التاريخي حيث يرى معظم رواده بأنه "لا ينبغي أن ينقد النص الأدبي بعيدا عن صاحبه، وعن الإطار الزمني الذي شهد مولده والبيئة التي تربى في أحضانها"[27].

نفس الإجراء الذي انتهجه في القسم الأول طبقه في القسم الثاني الخاص **(بشعراء المراثي والقرى العربية واليهود)**، حيث نظر في الحقائق الثابتة والمؤكَّدَة من سير الشعراء وشعرهم وأثبتها، فذكر كل شاعر باسمه ونَسَبَهُ إلى آبائه وأجداده، إضافة إلى ذكر شيء يسير من حياة بعض هؤلاء الشعراء وبعض صفاتهم وبعض المناسبات التي قالوا فيها الشعر.

وقد أدرج حوادث تاريخية وأحاديث جانبية، أثناء تناوله لشعراء القرى العربية وشعرهم، مثل ذكره لحادثة حدثت لعبد الله بن رواحة مع اليهود في شأن تقدير ما على الشجر من الثمار، وذكر قصة قتل **الرسول صلى الله عليه وسلم** لأبي عزة يوم أحد بسبب غدره وخديعته، وذكره لقصة غيلان بن سلمة مع عمر بن الخطاب عندما قسم ماله كله بين ولده وطلق نساءه، وكل هذه الأحاديث خارجة عن تناول النصوص الشعرية المنسوبة لشعراء القرى العربية تناولا داخليا، وجمع في طبقة شعراء اليهود فحول الشعراء الذين ينتمون إلى العرق اليهودي أو عاشروا اليهود الذين جاوروا العرب.

وفي القسم الأخير الخاص **(بطبقات فحول الإسلام)** نلاحظ نفس الإجراء التطبيقي المتبع في القسمين السابقين في مقاربته للنصوص الشعرية التي تنسب لشعراء فترة الإسلام، وإضافة إلى ذلك اتجه بنا نحو الحديث عن العصر الذي بدأ بظهور الإسلام.

خاتمة

في نهاية دراستنا لملامح المنهج التاريخي عند «محمد بن سلام الجمحي» من خلال كتابه (طبقات فحول الشعراء) نخلص إلى أن تطبيقه للمنهج التاريخي في مقاربته للشعر العربي عبر مختلف الأزمنة يتجلى في النقاط التالية:

* بحثه في الحقائق الثابتة والمؤكَّدة من سير الشعراء وشعرهم ثم إثباتها.
* تعريفه للشعراء بذكر أسمائهم ونسبتهم إلى آبائهم وأجدادهم.
* تطرقه للحياة اليومية والأدبية لمختلف الشعراء.
* تفصيله لبعض المناسبات الاجتماعية التي قال فيها الشعراء أشعارهم.
* وقوفه عند مختلف الأحداث الاجتماعية والتاريخية والسياسية التي عايشها الشعراء.
* تحديد الحقب والفترات الزمنية الخاصة بكل شاعر.
* التعريف ببيئة الشاعر التي تربى في أحضانها، وذكر مدنهم والقرى العربية التي عاشوا فيها كمكة والمدينة والطائف والبحرين.

الهوامش:

[1]– بسام قطوس، "المدخل إلى مناهج النقد الحديث"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، ت2006، ص42.

[2]– يوسف وغليسي، "مناهج النقد الأدبي"، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ت2007م، ص15.

[3]– عبد السلام المسدي، "في آليات النقد الأدبي"، دار الجنوب، تونس، (د، ط)، ت1994م، ص88.

[4]– يوسف وغليسي، " مناهج النقد الأدبي"، ص16.

[5]– بسام قطوس، "المدخل إلى مناهج النقد المعاصر"، ص41.

[6]– نفسه، ص 43/42.

[7]– يوسف وغليسي، " مناهج النقد الأدبي"، ص17/16.

[8]– نفسه ص17.

[9]– نفسه ص16.

[10]– بسام قطوس، "المدخل إلى مناهج النقد المعاصر"، ص45.

[11]– نفسه، ص44.

[12]– بسام قطوس، "المدخل إلى مناهج النقد المعاصر"، ص41.

[13]– نفسه، ص41.

[14]– نفسه، ص42.

[15]– بسام قطوس، "المدخل إلى مناهج النقد المعاصر"، ص46.

[16]– يوسف وغليسي، "مناهج النقد الأدبي"، ص19/18.

[17]– يوسف وغليسي، "مناهج النقد الأدبي"، ص 19.

[18]– نفسه ص20/19.

[19]– يوسف وغليسي، "مناهج النقد الأدبي"، ص21/20.

[20]– ينظر، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة– مصر.

[21]– ينظر، محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة الأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د.ط)، 2001م، ص15.

[22]– سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، سنة 2007م، القاهرة – مصر ص189.

[23]– محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، (د.ط) سنة 1984م، بيروت – لبنان، ص428.

[24]– يمينة بن سويكي، استراتيجية الخطاب النقدي عند الغذامى، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في شعبة البلاغة وشعرية الخطاب، بإشراف دياب قديد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، السنة الجامعة 2008/2007، قسنطينة – الجزائر، ص08.

[25]– يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص15.

[26]– إليزابيث غافوا غالو، مناهج النقد الأدبي، ترجمة يونس لشهب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2013م ،إربد – الأردن، ص101.

[27]– عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية (د.ط)، سنة 2005، الإسكندرية – مصر، الجزء الأول، ص12.